أكتب هذا النص عشرين يوما قبل انطلاق المعرض. أنا الآن في بهو الانتظار أتعجّل اللحظة التي أرى فيها المعرض وقد اكتمل شكله. أحب دائما لحظات الانتظار هذه وأنا أستعد للحظة المونتاج المكثفة. في الأثناء أكتب لكم لأشارككم البعض من حدسي الذي انبنى عليه المعرض وكي أتحدث عن بعض الأعمال التي يحتويها.

الفيديو

انطلق شريط الفيديو هذا من ملاحظة عبرت بي في يوم عاصف. عندما رأيت الريح وهي تأخذ معها رمال الأرض جاءني الإحساس بأني بصدد مشاهدة فيلم أو بصفة أدق، كأني أمام شريط يعرض أمامي بسرعة غير مسبوقة تأخذ في طريقها ما فوق الأرض من حبات وغبار ومواد.

أذكر وأنا أمام هذا المشهد أنني فكرت حينها في ما يقع وسط كاميرا تناظرية،(analogique)،أتخيلها كعلبة تحتوي على عاصفة من حبات البيكسال. إن تصوير الريح له خاصيته، وهو أن المصور يتنفس الريح التي يصوّرها. إنه يستنشقها ثم يخرجها ليعيدها للكاميرا ثم يتنفسها من جديد. منذ ذلك الوقت لم تتوقف هذه الفكرة على الدوران في نفسي، بقيت أحلم بفعلٍ سينمائي يفيض على أداة الرؤية. كم أحب لو صوّرت بكل جسدي، أستقبل داخلي وأتنفس كل المادة التي أسجلها. أنا أدرك أن هذا يظل طموحاً، لعلّي وصلت إليه قليلا. لقد قمت بالتصوير تاركا جسدي يتأثر بكل ما يحيط به. كانت رمال العاصفة تسدّ عينيّ وتحجب عنّي الرؤية كلما تقدمت في التصوير. بلغ إصراري حدوده ونال التعب من الكاميرا. إن الفيلم قاحل يصقل الاشياء، يحتكّ بك كما تلامس اليد مساحة خشنة تخدش الجلد وتقرص العين. تحمل الريح داخلها حيرة. إنها تبعث النشوة وتفضي إلى الإعياء. في العاصفة تضيع الاتجاهات، تحمل في طريقها كل شيء، وأنا أعتقد أن الكاميرا قد صوّرت تهاوي العلامات.

الجدار

إن الجدار الذي بُني وسط الفضاء له أهميته. إنه ليس رافعة بل هو ثِقل، وكتلة. واجهة هذا الجدار تستعمل لعرض الفيلم. فهو ككتلة يعطي بعدا عموديا لكثبان الرمل الذي يثيره ثم يضعه أمامنا مباشرة. الجهة الخلفية للجدار تبعد الصوت وتحتضن في كتلتها تمثالا.

النحت

وُضع هذا النحت داخل مشكاة. إنه شكل ملتوٍ حول نفسه، النحت أُقتطع من أرض حديقة بيتنا في الصغر.

انّه مادّة لاصقة، مثقلة بالتراب التي ثبت فوقها، تقريبا كما ينعكس شريط الفيلم فوق ما يعرض. هذا النحت هو إنتاج مسجّل. بعض الأشخاص قالوا إن هذا النحت يشبه عُشّا. هذا التشبيه أعجبني. الأعشاش هي عيدانٌ صغيرة تلتوي حول نقطة في المشهد تحتضن الطائر. هذه النقطة هي التي اختيرت كملجأ، وهي التي يتكوّن منها الفضاء المحيط. من الناحية التشكيلية فأنا شديد الانبهار بهذه العلاقة بين التمدد والانطواء.

غرفة صغيرة

هذه الغرفة، كانت في الأصل أحد مكاتب المؤسسة، كنت أنوي توظيبها كفضاء للنشاط، بعد إعادة طلاء جدرانها بالدهن الأبيض. تنتصب في وسطها طاولة تناثرت فوقها بقايا نشاط طويل.

إن بقايا الأشياء التي ينتجها كل عمل أصبحت تعنيني أكثر فأكثر. لطالما أحمل في ذهني ما يتساقط من لفيفة الفيلم لحظة المونتاج، وما يتطاير من نشارة اللوح حين يشتغل عليه النجار. ويمكن أن يتسع هذا ليشمل مجالات نشاط أخرى. بالنسبة إليّ أعتقد، أنه ما أن ينتهي التصوير، فان كل فيلم ينتج شيئا يخلّفه وراءه. منذ مدة أصبحت أتعلم كيف أنظر في ما يخلّفه العمل في أعقابه. في بعض الأحيان كنت أنطلق من بقايا المونتاج لابتكار شيء جديد، فتصبح بدورها إشارات لبقايا جديدة وهكذا دواليك. وهذا تقريبا ما أحاول فعله هنا: أعيد النشاط في بقايا فيلم دون مشاهدة هذا الأخير، وأرسم ملامح جسد غائب، على شاكلة صورة سلبية.

> لي صديق كنت أحدثه عن هذه الأشياء قال لي ملاحظة اعتبرتها مضحكة، لكنّني أخذتها على مَحمل الجد: "الحلم بالنسبة إليك هو أن يمّحي الفنان، تمّحي حركاتك وأفلامك.."، ربما يكون ذلك طموحًا بعيدا!

إسماعيل بحيري 4 جوان 2022